الظرائف والطرائف في دولة المماليك

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

Jokes and jokes in the Mamluk state

(AH / 1250-1517 AD 923-648)

م.م. شذى غالب حسن
مديرية تربية واسط
Shatha Ghalib Hassan
Wasit Education Directorate
E-mail: shatha5t7t@gmail.com

الملخص

تأسست الدولة المملوكية، أو دولة المماليك، في مصر خلال الفترة الأخيرة للعصر العباسي الثالث، وانتشرت لتشمل مناطق الشام والحجاز. استمر حكمها بعد سقوط الدولة الأيوبية في العام ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) وحتى تفككت في معركة الريدانية في عام ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) عندما ضمت الدولة العثمانية مصر وسوريا إلى دولتها. يتقسم المؤرخون دولة المملوكية إلى فرعين أو دولتين، وهما دولة المماليك البحرية ودولة المماليك البرجية. الحكم البحري المماليكي بدأ من سنة ٦٤٨ هـ الموافقة لسنة ١٢٥٠ م واستمر حتى سنة ٧٨٤ هـ الموافقة لسنة ١٣٨٢ م. كان معظمهم من الترك والمغول. فيما بدأ حكم المماليك البرجية من سنة ٧٨٤ هـ الموافقة لسنة ١٣٨٢ م واستمر حتى سنة ٩٢٣ هـ الموافقة لسنة ١٥١٧ م. كانوا من الشركس. الأصول المملوكية هي رقيق محاربين، استقدمهم الخلفاء العباسيين الأوائل من تركستان والقوقاز وغيرها وجعلوهم حراسًا وقادةً لجيوش المسلمين. ازداد نفوذهم حتى أصبحوا يسيطرون على المناصب الرئيسية، مستفيدين من ضعف الخلفاء وتراجع نفوذهم. السلاطين والأمراء المسلمين اتبعوا في العاصمة بغداد، فعند كل منهم جماعة من المماليك الأقوياء والكفوئين عسكريًا. عندما مات آخر سلطان بني أيوب ، الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي حكم مصر والشام تحت الراية العباسية، كتمت زوجته شجرة الدر نبأ وفاته حتى حضر ابنه توران شاه من الجزيرة الفراتية إلى القاهرة. حاول توران

شاه تعيين مماليكه الذين أصطحبهم معه في مناصب الدولة، لكن المماليك القدماء في مصر قاموا بقتله ونصبوا شجرة الدر سلطانة عليهم في سنة ١٢٥٠ م، وهي أول امرأة تولت شؤون المسلمين.

ظهرت الدولة المملوكية كحل لمشكلات العالم الإسلامي بعد أن احتلت واستولت المغول على الدول الإسلامية، وتم اغتيال آخر الخلفاء العباسيين، واضطراب الحاكمية في بغداد. وتحول اهتمام المغول إلى شام وصولًا إلى مصر، ولكن السلطان المملوكي قطز أخذ يحارب ويدافع عن الأرض الإسلامية في فلسطين. وفي معركة عين جالوت تمكن المسلمون من هزيمة المغول. ومنذ تولي قطز الحكم، استمرت المماليك في محاربة الصليبيين وتحرير المدن الفلسطينية والسورية. واستمرت الحرب لمائة وأربعة وتسعين عامًا حتى سقوط عكا، وجعل الصليبيين يفرون من المدن الأخرى التي كانت بين أيديهم. وأعيدت الخلافة العباسية في مصر، ولكن كانت مجرد صورة لإضفاء البهجة والسيادة على حكم المماليك.

الكلمات المفتاحية : المماليك ، الجزيرة العربية ، معاقل الصليبيين ، البرجية.

ABSTRACT

The Bahri Mamluks ruled from the year 648 AH, which corresponds to the year 1250 AD, to the year 784 AH, which corresponds to the year 1382 AD; the Burji Mamluks ruled from the year 784 AH, which corresponds to the year 1382 AD, to the year 923 AH, which corresponds to the year 1517 AD; and they were Circassians. The earliest Abbasid caliphs imported slave fighters from Turkestan, the Caucasus, and other places and used them as guards and army commanders for themselves, giving rise to the Mamluks. By taking advantage of the caliphs' frailty and the fall in their power, the Mamluks'

One of the Islamic nations that emerged in Egypt towards the end of the third Abbasid era and later spread throughout the Levant and the Hijaz is the Mamluk Sultanate, often known as the Mamluks or the State of the Mamluks. It continued to reign after the Ayyubid state fell in the year 648 AH (1250 AD) until it was defeated by the Ottoman Empire in the Battle of Ridaniyeh in the year 923 AH (1517 AD) by annexing Egypt and Syria to its kingdom.

Historians classify the Bahri Mamluk state and the Burji Mamluk state as the two states that made up the Mamluk state.

the Islamic caliphate. The Mongols went to invade the Levant and threatened Egypt with the same fate, but Saif al-Din Qutuz, the Mamluk Sultan, sent an army to Palestine to repel their progress and protect the Islamic lands. In the battle of Ain Jalut in northern Palestine in the year 1260 AD, the Muslims were able to defeat the Mongols and repel their attack. Since assuming power, the Mamluk Sultan al-Zahir Baybars continued to fight the Crusaders, and recovered many of the Palestinian and Syrian cities that were under their control. The Crusader war lasted for one hundred and ninety-four years, and was stopped by the fall of Acre in 1291 AD, which was the main port for the Crusaders, and made them flee from the other cities that were in their hands. The Mamluks revived the Abbasid Caliphate in Egypt, but it was only a sham to add joy and sovereignty to their rule.

key words : The Mamluks, the Arabian Peninsula, the strongholds of the Crusaders, the Burjiya with a coup

المقدمة

تعني كلمة "المماليك" العبيد الذين يتم اسرهم في الحروب ويتم شراؤهم في الأسواق، وكثيرًا ما كان العديد منهم جنودا وقادة في الجيش، وبعد نهاية حكم دولة الأيوبيين في مصر، تولوا بالحكم. تم استخدام المماليك في الشرق الأدنى منذ أزمنة العباسيين، وكانوا يستخدمون من الحكام المنطقة لتعزيز قوتهم.

influence grew through time until they eventually came to dominate the caliphate and the center of power. The earliest Abbasid caliphs imported slave fighters from Turkestan, the Caucasus, and other places, made them their guards, and appointed them as leaders of the Muslim army. These people were known as the Mamluks. Over time, the Mamluks' influence grew as they capitalized on the caliphs' frailty and decrease in power to take control of the caliphate and the center of power. Turan Shah attempted to establish his Mamluks, whom he had brought with him from the island, and appointed them to state positions, but the ancient Mamluks in Egypt did not follow their orders and kill Turan Shah; instead, they established Shajarat al-Durr as their sultanate in the year 1250 AD, and she was the first Muslim woman to rule the Muslim people.. (2))

The Mamluks appeared in a form of salvation for the Islamic world after the Mongols, led by Hulagu Khan, occupied Baghdad, the capital of the Abbasid state and

اختار الحكام المصريون من الطولونيين والأخشيديين والفاطميين والأيوبيين استخدام المماليك، وكان يتم جلب الأسرى من القفقاس وآسيا الصغرى للاستفادة من خدماتهم وحماية المملكة. كل حاكم اختار مجموعة معينة من المماليك لتعزيز أمنه واستقرار إمارته، وكان المماليك يبايعون الملوك والأمراء، ويتم تدريبهم على الطاعة والإخلاص والولاء. [١]

اصل المماليك

يشير تسمية المماليك إلى العبيد الأبيض الذين كانوا يسبون في الحروب أو تم شراؤهم من الأسواق، وكان العديد منهم جنودًا وقادةً في الجيش، ونجحوا في النهاية في الاستيلاء على الحكم في نهاية حكم الدولة الأيوبية في مصر. هناك روايتان مختلفتان حول أصل المماليك، إذ تقول الأولى أن ظهورهم كان أثناء حكم الخليفة الفاطمي العزيز في مصر، في حين تزعم الثانية أن المماليك هم الأسرى الذين جلبهم السلطان الصالح أيوب إلى مصر من القفقاس وآسيا الصغرى لتعزيز الأمن والاستقرار في مملكاتهم، وتشمل ممارسات المماليك البيعة للملوك والأمراء، ثم يتم تدريبهم على الطاعة والولاء والإخلاص.

تربية المماليك

يتعامل الصالح الأمير أيوب والأمراء المتبعون له مع المماليك بطريقة مختلفة عن التعامل الذي يعاملون به الرقيق، حيث يقربونهم منهم إلى حدود الاقتراب من أبنائهم. ولا تكون العلاقة بين المالك والمملوك علاقة السيد والعبد، بل تكون علاقة المعلم والتلميذ. وتتكون هذه الروابط على أساس الحب، وليس على أساس القهر أو المادة، حتى أنهم يطلقون على السيد الذي يشتريهم لقب "الأستاذ"، وليس لقب "السيد."

يصف المقريزي طريقة تربية المملوك الصغير حيث يبدأ بتعلم العربية والقرآن والفقه الإسلامي والأذكار النبوية، كما يتم مراقبته بشكل محكم من قبل مؤدبيه ومعلميه، ويعاقب في حال ارتكب خطأً يمس الآداب الإسلامية. بفضل هذا التعليم الرائع، تم تشجيع أطفال المماليك على الاحترام الشديد للإسلام والتعرف الواسع على الفقه الإسلامي. وقد حظيت المماليك بمكانة عالية للغاية بين العلماء طوال حياتهم، والتي تفسر النهضة العلمية الكبرى التي حدثت في عصر المماليك، وتقديرهم العالي للعلماء، حتى لو اختلفوا في الرأي. وبفضل العلماء المسلمين، مثل العز بن عبد السلام والنووي وابن القيم الجوزية وابن حجر العسقلاني وابن كثير والمقريزي وابن جماعة وابن قدامة المقدسي، برزت في عصر المماليك أعداد

كبيرة من العلماء التي يصعب الإحصاء عليها.. [٢]

عندما يبلغ المملوك سن النضج، يأتي مدربو الفروسية والمعلمون في القتال لتعليمه فنون الركوب والقتال والرماية بالسهام والضرب بالسيوف. يتعرف المماليك على فنون الحرب العالية والقوة الجسدية والصبر الشديد من خلال التدريب الشاق على القيادة وإدارة الخطط الحربية وحل المشاكل العسكرية. يلتزم الممالوك باتباع الحمية الدينية القوية والايمان الاسلامي وذلك لجعلهم ثابتين ومتفوقين في العسكرية في معارك الحرب.

يُعَدُّ الاهتمامِ الواعِ في تربيةِ الأطفالِ الصغارِ من أهمِّ مهامِ المربينِ والآباءِ والدعاةِ، إذ يكون هذا النشءُ غالبًا سَهْلاً في التأثيرِ والتشكيلِ، حيثُ يخلو ذهنه من الأفكار المنحرفة والعقائد الفاسدة، بالإضافةِ إلى قُوَّتِه ونشاطِه وحرصِه على التحرُّكِ، مما يجعلُهُ قادرًا على أداءِ المهام الصعبة والواجبات الضخمة بأفضل أداءٍ ممكن.

كان المالك الذي اشتراهم يتابع جميع مراحل التربية بعناية، حتى كان السلطان الصالح أيوب في بعض الأحيان يتابع شخصيًا طعامهم وشرابهم وراحتهم، وكان يجلس معهم لتناول وجباتهم ويستمتع بصحبتهم، وكانت المماليك تحبهم بشدة وتدين له بقولهم التمسك التام. [٣].

إذا كان الزعيم على اتصال مع شعبه ويشعر بمشاعرهم، ويفرح لأفراحهم ويحزن لأحزانهم ويتضرع لأوجاعهم، فلا شك أنه يحظى بحبهم واحترامهم. كما أنهم يثقون به وإذا امتنع أمرهم بالجهاد فإنهم سيستجيبون بسرعة وإذا قدموا لحمل مهمة ما في تنافس لتنفيذه، فسيضحوا بحياتهم من أجل إنجازها، وبالعكس، إذا كان الزعيم معزول عن شعبه ويعيش حياة هادئة ومترفة بينما يتعبون في العمل، فلن يشعروا بأي ولاء تجاهه، بل قد يفقدون الولاء حتى لدولهم، وفي هذه الحالة، يكون من المستحيل إجراء إصلاحات وبناء مستقبل أفضل.

عندما يظهر المملوك بمهارات عسكرية ودينية متميزة، يتم ترقيته بشكل مستمر من منصب إلى آخر، ويصبح زعيمًا للمماليك الأخرى. إذا تحسنت مهاراته المزيد، يُمنح بعض الأقطاعات داخل الدولة، ويصبح لديه ملكية، ويحصل على أرباح هائلة، وقد يحصل على أقطاعات كبيرة في النهاية، ومن الممكن أن يتصدر حتى رتبة الأمير، كأمراء المناطق المختلفة وزعماء الفرق في الجيش.

كانت العادة بين المماليك أن يكون اسمهم مرتبطًا بالسيد الذي اشتراهم. وبما أن الملك الصالح اشترى بعض الرقيقة، كان اسمها هو "الصالحية". والمماليك الذين اشتراهم الملك الكامل، كان اسمهم "الكاملية". وبهذه الطريقة

زاد عدد المماليك الصالحية وتعززت نفوذهم ومكانتهم في عهد الملك أيوب. وبنوا قصرًا وقلعةً على ضفاف النيل بجوارهم، وكانت هذه المباني في منطقة الروضة في القاهرة التي كان يسميها الناس "البحر". وبالتالي، كانت تسمية المماليك الصالحية تعرف باسم "المماليك البحرية" لأنهم يسكنون في محيط النهر.

لقد أظهرت القوات البحرية للمماليك بفعاليتهم القوية في التغلب على أهم المخاطر الخارجية التي واجهت مصر والعالم الإسلامي في منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، والتي تشمل خطر الصليبيين وتهديد التتار. ومن بين المماليك، كانت هناك مجموعة من الأفراد الذين أثروا بشكل كبير في تحويل المسار السياسي لمصر،منهم الظاهر بيبرس الذي تحول فيما بعد إلى سلطان لمصر.[٤].

المبحث الاول/ اهمية الطرائف والطرائف في دولة المماليك

تحذير: هذه الترجمة تم إنشاؤها بواسطة نظام تلقائي وليس بواسطة مترجم محترف. المماليك في اللغة العربية معناهم "الرقيق" أو "العبيد". ويشير المصطلح بشكل خاص إلى الأفراد الذين تم ضمهم إلى الخدمة العسكرية في التاريخ الإسلامي. وتعود أصول استخدام هذا المصطلح إلى عهد الخليفة المأمون وأخيه المعتصم ، حيث جمعوا أرقام كبيرة من المماليك. وبعد هزيمة الدولة الأيوبية على يد الصليبيين في ١٢٥٠ ، استولت المماليك على الحكم في مصر وضعت شجرة الدر على عرش الخلافة. وكان هذا حدثًا هامًا في التاريخ الإسلامي ، حيث أصبحت المرأة في منصب الخلافة وبايعتها. دولة المماليك كانت إحدى دول الخلافة الإسلامية، وكانوا يسيطرون على بلاد الشام ومصر والعراق وأراضي شبه الجزيرة العربية لفترة تزيد عن قرنين ونصف القرن، حيث تأسست في عام ١٢٥٠ وانتهت في عام ١٥١٧، وكانت العاصمة لهذه الدولة هي مدينة القاهرة. كما اشتهرت دولة المماليك باعتمادهم على الجيش كسطوح أساسية في حكمهم لمصر والشام والعراق وأجزاء من شبه الجزيرة العربية، وقبل أن يتم استقرارهم في مصر اختاروا قيادة العديد من الدول.في العام الذي ميّز بامتيازه، قام مسيلمة بجلب العسكريين وجعلهم جزءًا من حياة الدولة السياسية والاقتصادية بشكل متعمد، وكان لها ثقل كبير في العالم الإسلامي في ذلك الزمان. [٥]

وطِنَتْ المماليك الجراكسة في منطقة الجراكسة، المشرفة على البحر الأسود من الشمال الشرقي، ولا تزال هذه المنطقة تعرف بهذا الاسم حتى اليوم. وانخرط أعدادٌ من أبناء الجراكسة في سوق النخاسة، بسبب

الصراع الذي كان يدور بين مغول فارس ومغول القفجاق. وهؤلاء الأبناء انتقلوا إلى مصر المماليك، وهم جماعةٌ من أصول تركية، وتعود كلمة مماليك إلى المملوك، وكانوا يتم شراؤهم من سوق النخاس كعبيد، مماثلين لباقي العبيد الذين يتم جلبهم من أسواق العُبيد. ويُقال إن المماليك الجراكسة كانوا من شركس المماليك البرجية، وهي الجزء الشركسي الواقع في شمال أرمينيا والمعروف اليوم باسم جورجيا. أُتوا إلى مصر في عهد السلطان منصور سيف الدين قلاوون، واستقرّ السلطانُ بعضَهم في أبراج عاليةٍ للتفريق بينهم وبين المماليك البحرية، وأبدى لهم المزيد من الاهتمام.

هم جيل من الأجيال التي شهدتها التاريخ، ولقد كانوا مهمين بأعمالهم العريضة التي أنجزت آثارًا كبيرة، وعلينا التعرف من خلال هذا النص على كيفية عمل بحث متكامل يتضمن معلومات عن: تاريخ نشأة المماليك، المراحل التي مرت بها دولة المماليك، العمارة في العهد المملوكي، وأهم الإنجازات التي حصلت في ذلك الحقبة تشير مصطلح "المماليك" إلى الحكام الذين حكموا مصر لفترة طويلة تمتد من عام ١٢٥٠ حتى ١٥١٧. نجحوا في الحفاظ على البلاد من الأخطار المحتملة التي كانت تواجهها من الشرق (المغول) والغرب (الصليبيون)، وكذلك تجنبوا الخطر الداخلي من العرب الذين كانوا يحاولون بشكل عنيف فرض ثقافتهم على المصريين. في عهدهم، أصبحت مصر دولة مستقلة قوية ومتقدمة، وكانت إحدى أقوى الإمبراطوريات وأغناها في ذلك الوقت. استمرت حكومة المماليك من ١٢٥٢-١٥٢٢ م في مصر وشمال أفريقيا وبلاد الشام والشرق الأدنى، وكانت تُشْكِلُ مصر دولةً مستقلةً قويةً [٦].

المبحث الثاني / طرائف لغوية من العصر المملوكي

كان السلاطين من الأمراء يتكلمون – على اختلافهم – بلغاتهم، وما كانوا يتكلمون بالعربية الفصيحة، بل كانوا يتكلمون لغة ركيكة عامية – . قال الأمير أينبك للخليفة المتوكل على الله محمد (وقد سخط عليه لأنه لم يوافقه على خلع السلطان المنصور علي بن الأشرف): "ما انت فالح إلا في اللعب بالحمام والاشتغال بالجواري المغنيات والضرب بالعود" وصار يبالغ في سبه ويوبخه بهذا الكلام الفاحش .

–قال برقوق لأيتمش الخاصكي: "يا مرا، يا عِلق، الذي يريد أن يقتل الملوك يقع إلى الأرض من ضربة قوس كُباد؟ /١/٢ ٣٠٨ . كُباد: قوس مصنوع من شجر الكُباد أي الليمون

– .شرع مقدم المماليك سنبل يقول لهم: يا أغوات عبوا يرقكم حتى تسافروا سويسة (السويس) ضحكت عليه الناس بسبب ذلك .

–البرق: السلاح وما يحتاج إليه الجندي في سفره للحرب.

– وكان الديري قد أفتى في موت خَوند زينب بأمر أزعج السلطان.. فقال له :الزم بيتك ولا تبقى تريني وجهك /٣٩٨/٢.

قال لهم والي قطيا: امضوا إلى أستاذكما قولوا له: "إيش ما طلع من يدك.

–افعله –قال لهم ملك الأمراء: "لا زلتوا حتى أوقعتوا بيني وبين نائب الشام، وأنتم تفروا وتروحوا إليه وتِشكو فِي عنده".

–فلما دخل السلطان إلى دمشق تخوفوا منه فنادى بالأمان والأطمان.. وأن الماضي ما يعاد ونحن أولاد اليوم.

–لم يقبل السلطان منهن عذرا وقال لهن: "إنتم نساء قليلين العقول".

قال للقاصد: "إيش أعظم ما تبهدلوا به الناس عندكم؟ قال: "نرميهم بثيابهم في الماء فأمر بأن يرموا في الماء /٢ .١٦٧،١٦٨ بهدل: أساء إليه، وأهانه، وحقَّره – .قال السلطان: "إنتو تعلموا أني رجعت من التجريدة منكسرا"(٧).

التجريدة: تتضمن الفرقة العسكرية المنفصلة التابعة للخيالة القدرة على التحرك بسرعة بعيداً عن منطقة القتال دون أي عوائق.

يتميّز كل عصر بطوابعه الفكرية والفنية التي تعبر عن الحقائق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي يعيشها، وقد تأثر العصر المملوكي مثل غيره بالكارثة التي حلّت به من الغزو المغولي، ما أدى إلى تخلخل هوية المجتمع السياسية والاجتماعية وانقطاع لغة الكتابة عن لغة الحياة اليومية وقضاياها. ولذا، اعتمد الشعراء في هذا العصر على الاستفادة من الأدبيات السابقة وإعادة صياغتها، كما أن الأدب الشعبي الذي يعبر عن وجدان الناس ويعرض لحياتهم يتماشى مع طوابع هذا العصر. (٨).

ان العصر المملوكي كان يدعم مشاعرهم واحساسهم ويظهر اهتماماتهم وحاجاتهم اليومية، فيسير بين الناس ويتناقلونه من جيل إلى جيل عبر الزمن، وقد تعددت أنواعه وألوانه في الشعر والنثر، وأشهر هذه الأنواع في الشعر هي: المواليا، والزجل، والكان وكان ، والموشح ، والقوما، وفي النثر نجد المقامة والقصة الشعبية، والسيرة.

ولم يقف دور الأدب الشعبي في تلك الفترة على ظهور أنواع جديدة في الشعر والنثر، بل كان له أثر في الأدب الفصيح، فقد أصبح أدباء الفصحى يقلدون أدباء الأدب الشعبي في الألفاظ والأساليب والخيال والصور وبعض التعبيرات، وممن تأثر بهذا من كبار الأدباء في العصر المملوكي البهاء زهير ، والبوصيري صاحب البردة، والحسين

الجزار، ومحمد بن دانيال وغيرهم .ونبدأ الحديث عن فنون الشعر الشعبي في عصر المماليك بما ذكره صفي الدين الحلي) (عن أنواع الشعر في كتابه) العاطل الحالي والمرخص الغالي(،والتي حصرها في سبعة أنواع ، يقول:" ومجموع فنون النظم عند سائر المحققين سبعة فنون الاختلاف في عددها بين أهل البالد، وإنما الخالف بين المغاربة والمشارقة في فنيين منها ، والسبعة المذكورة عند أهل المغرب ومصر والشام هي: الشعر القريض، والموشح والدوبيت، والزجل، والمواليا ، والكان وكان، والحماق)***(وأهل العراق وديار بكر ومن يليهم يثبتون الخمسة منها، ويبدلون الزجل والحماق بالحجازي والقوما، وهما فنان اخترعهما البغاددة للغناء بهما في سحور شهر رمضان، خاصة في عصر الخلفاء من بني العباس. فأما عذرهم في إسقاط الزجل فأن أكثرهم ال يفرق بين الموشح، والزجل، والمزنم، فاخترعوا عوضه الحجازي) وهو وزن بيتين من بحر السريع بثالث قواف، كما اقتطع الواسطيون المواليا وهو بيتان من بحر البسيط وهذا يشبه الزجل في كونه ملحونًا، وأنه بعد كل أربعة أقفال منه بيت. ويخالفه بكون القطعة منه لو بلغ عدد أبياتها ما بلغ ال تكون ال على قافية واحدة. فأما عذرهم في إسقاط الحماق، فإنهم لم يسمعوه أبً دا".) وإذا تأملنا قول صفي الدين الحلي نجد أنه ذكر أكثر من سبعة أنواع وهي : الشعر القريض، والموشح والدوبيت، والزجل، والمواليا ، والكان وكان . والحماق، و الحجازي والقوما، يق) (والمزنم، والبُل الذي عرفه أهل مصر وبعض أهل الشام) وقد ذكر الحلي أن الشعر القريض والموشح والدوبيت ال يسمحٍ فيها الخطأ أبً دا، أما القوما، والزجل، والكان وكان فهي ملحونة ، والمواليا هو الفن الذي يقبل الإعراب والخطأ، يقول في ذلك:" إن ثالثة منها معربة أبً دا ال يغتفر فيها اللحن هي القريض والموشح والدوبيت ، ومنها ثالثة ملحونة أبً دا وهي الزجل، والكان وكان، والقوما ، وواحد كالبرزخ بينهما يحتمل الإعراب واللحن، وإنما اللحن فيه أحسن وأليق، وهو المواليا"[٩]

وقد فرق صفي الدين الحلي بين هذه الموضوعات على أساس المضمون لا الأوزان، يقول في ذلك: " يفرق بينهما بمضمونها المفهوم لا بالأوزان واللزوم، ماتضمن الغزل والنسيب والزهري زجلاً وماتضمن الغزل والخلاعة والاحماض بلقياً وماتضمن الهجاء والثلب ثلقيا وما تضمن المواعظ والحكمة مكفراً واطلقوا على كل ماعرب بعض الفاظه من هذه الاربعة لقب المزنب .

وما من عصر أدبي شهد عناية بالغة بالمحسنات البديعية لدرجة الإفراط كالعصر المملوكي. فقد تبارى الكتّاب والشعراء في

استخدام البديع وتلوينه وتفريعه في جميع أشكال الكتابة شعراً ونثراً، بتنا لا نقع على نص مكتوب في أي نوع من أنواع الكتابة إلا وضروب المحسنات البديعية بادية ساطعة لا مفر منها؛ لأنها أصبحت من مقومات الكتابة وبرهان على علو مرتبة صاحبها، وحجة لا تدفع، في وجه من تصدى لدراسة أدب العصر وتقويمه. ولعلّ ما دفعهم إلى طرق هذه المسالك ثقافتهم الفقيرة، والضحلة، وقصور أخيلتهم عن ابتداع الاستعارات والتشابيه والصور الشعرية عامة، فعوضوا عن ذلك بالجنوح إلى الصناعة اللفظية يظهرون حيالها طول باعهم في اللغة وما يتصل بها. والسبب أن الصنعة عندهم كانت مبذولة جداً، وقد بلغ ببعضهم أن قرض الشعر لعرض براعته في فن من فنون البديع، فضروب صنعتهم كثيرة، منها: التورية، الطباق، الجناس، والقلب، والتصحيف، وغير ذلك مما يعين على صياغة اللغز ان شيوع البديع – على في العصر المملوكي الأول، تأثر الأدب واللغة بممارسات الحضارة العربية الإسلامية في المعمار والعلم، وزخرف القول كان تجاوبًا مع طبيعة العصر ومظهرًا للتطورات الحضارية. ورغم أن أدبهم كان يثير الإعجاب، إلا أن بعض الناس اعتبره كالدمى التي تثير العجب منها بدلاً من الإعجاب بها. وظهرت روح الشعرية والمنافسة الأدبية، حيث كان الشعراء يحاولون اكتشاف معانٍ جديدة عن طريق مزج الألفاظ فيما بينها. ولذلك، كان منتشرًا نظم البيتين أو الثلاثة أو المقطوعات التي تحتوي على البديع والتالية والتورية وغيرها كل ما أرادوا التعبير عنه من خلال الكلمات.(١٠).

أنواع النكت البلاغية .

علم البديع – المحسنات البديعية اللفظية – الجناس

أن الألغاز اللفظية يتم الإشارة إلى اللغز فيها، إما بالتصحيف، أو بالتبديل، أو بالقلب، أو بالحذف، أو بالعكس، وما أشبه ذلك. وهذه الإشارات هي من ضروب الجناس، ولئن ابتدأنا بقضية الجناس، فليس معنى ذلك انتقاصاً للقضايا اللغوية الأخرى، بل لأن النكت اللغوية في ألغازهم، كانت في معظمها تدور في فلك الجناس، فلم يكن الجناس طاغياً على فنونهم الشعرية فقط، بل سرى إلى ألغازهم وبرعوا في استخدامه، فمن المعهود عند توظيف الجناس أن يجانس الشاعر بين كلمتين أو كلمات موجودة في الأبيات الشعرية.

جناس التصحيف

الفرق بين النقط وجناس الخط يتمثل في أن النقط تأتي بكلمتين موافقتين في الخط، وتختلف إحداهما عن الأخرى بتبديل حرف

بشكل مماثل للحرف المستبدل لتكون النقط فاصلة بين الحروف. أما جناس الخط فيأتي بكلمتين مشابهتين في الشكل لكن ليس في اللفظ، وهو يعتبر أدنى طبقات المجانس لأنه يستند إلى تشابه أشكال الحروف في الخط دون أي ارتباط بين صيغة اللفظ وشكلها في الخط. (١١).

جناس القلب

الجناس المقلوب، والجناس المخالف، والمعكوس، وجناس العكس. وحده، أن يتّفق الركنان في نوع الحروف وعددها وهيئتها" شكلها" ويختلفا في الترتيب فقط .

جناس التحريف

وهو تحريف الكلم عن مواضعه تغييره والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير عن معناه والكلمة عن معناها "وابن الأثير عد هذا النوع من المشبه بالتجنيس قائلاً:" أن تكون الحروف متساوية في تركيبها، مختلفة في وزنها "؛ وذلك الاختلاف بسبب انحراف حركة أحد الحرفين و سكنته عن الآخر، ويسمى أيضاً: المغاير والمختلف والناقص.

الخاتمة

وعلىً الرغم من ترحيب المصريين بالمماليك اعترافا بفضلهم بالدفاع عن الإسلام، وفي عهدهم أصبحت القاهرة حاضرة العالم الإسلامي، فانهم ثاروا على حكمهم احيانا ووجهت ثوراتهم بأبشع المواجهة ولم يجد المصريون في التعبير عن سخطهم ومقاوتهم للظلم الذي لحق بهم الا السخرية منهم وازدراء احوالهم والتلقيح عليهم .

بلغت السخرة غايتها بإطلاق ألسنتهم بأبشع الالقـاب (حمص اخضر ، يلباي مجنون – الحمار المحني) بل وتعليق ثماثيل لهم مـن قماش وقطن وماغناه العـامة فيهم وفي بعض تصرفاتهم.

الهوامش:

١ – جحا، شفيق؛ البعلبكي، مُنير؛ عُثمان، بهيج (١٩٩٩م)، المُصوَّر في التاريخ (ط. التاسعة عشرة)، بيروت، لُبنان :دار العلم للملايين، ص. ٩٧ – ١٠٣.

٢ – جحا شفيق ، مصدر سبق ذكره.

٣ – ابن سودون، نزهة النفوس ومضحك العبوس، تحقيق:أرنود فروليك، ليدن، هولندا،١٩٩٨م، وسلسلة الذخائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٠م.

٤ – بن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد(٦٥٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تحقيق: حفني محمد شرف ط .د. القاهرة . الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي.1962 .

٥– امرؤ القيس، أوس بن حجر: الديوان . ضبط وتصحيح: مصطفى عبد الشافي ط. ٥ .بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠٤

٦ – الجزائري، طاهر بن صالح بن أحمد: تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز، سوريا دمشق ،مطبعة ولاية سوريا، عام ١٩٩٩.

٧ – الجرجاني، علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه. تحقيق وشرح: محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ط. ١ ، بيروت: المكتبة العصرية. ٢٠٠٦.

٨ – بن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد(٦٥٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تحقيق: حفني

محمد شرف ط .د. القاهرة . الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي . 1962.

٩ – عبد الرزاق محمود كرم ، الطرائف واثرها في المجتمعات العربية القديمة ، بحث منشور في مجلة النهضة العربية – تونس ، مجلة العلم ، العدد ٤٧ ، لعام ٢٠٠٤.

١٠ – امرؤ القيس، أوس بن حجر: الديوان . ضبط وتصحيح: مصطفى عبد الشافي ط. ٥ .بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠٤

١١ – عبد الرزاق محمود كرم ، مصدر سبق ذكره.

المصادر

١. جحا، شفيق؛ البعلبكي، مُنير؛ عُثمان، بهيج (١٩٩٩م)، المُصوَّر في التاريخ (ط. التاسعة عشرة)، بيروت، لُبنان :دار العلم للملايين، ص. ٩٧ – ١٠٣.

٢. جحا، شفيق؛ البعلبكي، مُنير؛ عُثمان، بهيج (١٩٩٩ م)، المُصوَّر في التاريخ (ط. التاسعة عشرة)، بيروت، لُبنان :دار العلم للملايين، ص. ٨١ – ٨٢.

٣. تعدى إلى الأعلى ل: ابن عبد الظاهر، مُحيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين السعدي المصري؛ تحقيق ونشر: عبدُ العزيز الخويطر (١٩٧٦)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص. ٩٩ – ١٠٠.

٤. جحا، شفيق؛ البعلبكي، مُنير؛ عُثمان، بهيج (١٩٩٩م) ، المُصوَّر في التاريخ (ط. التاسعة عشرة)، بيروت، لُبنان :دار العلم للملايين، ص. ١١٠

٥. بن أبي الإصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد(٦٥٤) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تحقيق: حفني محمد شرف ط .د. القاهرة . الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامي . ١٩٦٢.

٦. امرؤ القيس، أوس بن حجر: الديوان . ضبط وتصحيح: مصطفى عبد الشافي ط. ٥ .بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠٤

٧. .الثعالبي، أبو منصور: فقه اللغة وسر العربية. تحقيق: فائز محمد وأميل يعقوب ط. ٢(م .د .)دار الكتاب العربي. ١٩٩٦

٨. الجرجاني، علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه. تحقيق وشرح: محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ط. ١ .بيروت: المكتبة العصرية. ٢٠٠٦

٩. الجزائري، طاهر بن صالح بن أحمد: تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز، سوريا دمشق ،مطبعة ولاية سوريا، عام ١٩٩٩.

١٠- الجزيري، عبد الرحمن: الفقه على المذاهب الأربعة ط. ٢ .بيروت: دار الكتب العلمية. ٢٠٠٣ . جعفر، أبو الفرج قدامة: نقد الشعر. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ط. د(. بيروت : دار الكتب العلمية (د.ت).

١١- ابن سودون، نزهة النفوس ومضحك العبوس، تحقيق:أرنود فروليك، ليدن،

هولندا،١٩٩٨م، وسلسلة الذخائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٠م. ١٢- تيمور، أحمد، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، مطبعة دار الكتب المصرية ، ,٢٠٠٨

١٣- عبد الرزاق محمود كرم ، الطرائف واثرها في المجتمعات العربية القديمة ، بحث منشور في مجلة النهضة العربية – تونس ، مجلة العلم ، العدد ٤٧ ، لعام ٢٠٠٤.